

التعبئة فكرة ورؤية ومنطق

المكان: طهران

الزمان: ١٣٩٣/٩/٦ ش. ١٤٣٦/٢/٢٤ ش. ٢٠١٤/١١/٢٧ م.

المناسبة: أسبوع التعبئة

الحضور: أعضاء المجمع العالي لتعبئة المستضعفين والآلاف من التبعويين

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى آله المنتجبين المطهرين، وصحبه المنتخبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أولاً أرحب بكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، النخبة من المجتمع التعبوي في البلاد ومن المتفوقين الذين صاحبهم بين العقل والفكر والعلم وبين الحب والقلب والعاطفة، وسرتم في ساحة نهاية المسير فيها هو الانتصار الحتمي، والمحبة عند الله تعالى إن شاء الله. يذكر الله تعالى في موضع من القرآن الكريم أناساً فيقول عنهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (١)، إنهم يحبون الله، والله أيضاً يحبهم. ويذكرهم الله تعالى في موضع آخر من القرآن الكريم فيقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانًا مَرْصُوعًا﴾ (٢)، ونموذجهم هم هؤلاء الشباب والرجال والنساء النخبة الواعون المؤمنون الذين يقدمون كل قدراتهم وطاقاتهم وكيانهم وينزلون إلى الساحة بهذا المعنى الذي نعرفه للتعبئة. آجركم الله تعالى وكتب لكم التوفيق ولا حرمكم حتى للحظة واحدة من هدايته وتسديده، وزاد من توفيقكم يوماً بعد يوم.

لقد كان كلام هذين الأخوين العزيزين - القائد العام المحترم لحرس الثورة الإسلامية ورئيس منظمة تعبئة المستضعفين - متقناً وصحيحاً، ويحمل آراء قوية وقوية ومدروسة ومحسوبة. وأنا بدوري أذكر بعض النقاط.

لقد شاهدنا التعبئة في ساحات الفعل والعمل منذ بداية الأمر وإلى اليوم. شاهدناهم في ميادين وساحات مختلفة، لكنها كلها ساحات عمل. في ساحة الدفاع المقدس - حرب الأعوام الثمانية - وفي البناء وفي مختلف صنوف التقنيات - من الخلايا الجذعية إلى الطاقة النووية، وهي من أعمال التعبئة - ومن تواجد الأطباء في المستشفيات القريبة من الخط الأمامي للجبهات، وقد شاهدت بنفسني في تلك الحقبة هذه المستشفيات التي كان بمقدور العدو أن يقصفها بالقذائف قصيرة المدى. كان الأطباء يأتون من طهران ومن المدن الأخرى، وبمجرد أن يطلبوهم من جبهات القتال كانت حقائبهم حاضرة فينطلقوا للعمل في مثل تلك المناطق والظروف؛ وهناك الأنشطة والأعمال الفنية للتعبئة حيث كانوا نشطين مؤثرين في هذا

المجال أيضاً، وقد تطورا وتكاملوا فيه يوماً بعد يوم بحمد الله؛ لقد شاهدنا التعبئة في كل هذه الساحات العملية، لكن الساحة ساحة واسعة جداً - وسوف أعود وأشير إلى هذا المعنى - فيها الأعمال العلمية والفنية والحربية والبناء والاقتصاد وكل شيء.

الشيء الذي يبدو لي أنه قلّ ما تمّ التطرق له ويجب التطرق له، هو قضية الرصيد الفكري والدعامة الفكرية للتعبئة. التعبئة فكرة ورؤية ومنطق، وهي بعبارة أخرى منظومة فكرية. والسبب في أن المتعلمين والخريجين والنخبة والنوابغ من مختلف الحقول العلمية يجذبون إلى التعبئة هو أن التعبئة ليست مجرد تحرك عاطفي، إنما يقف وراء التعبئة منطق قويّ رصين. وحينما يمتزج هذا المنطق والعلم مع العمل فسوف يصنع العجائب والأحداث المذهلة المدهشة. ما هي ركائز هذا الفكر؟

أذكر بعض النقاط المقتضية حول هذا الفكر الذي يمثل أساس التعبئة ورصيدها ودعامتها. أشير في هذا الخصوص إلى نقطتين جديرتين بالتفكير والمناقشة والعمل.

أساس هذا التفكير هو الإيمان بمسؤولية الإنسان؛ مسؤولية الإنسان. الإنسان مخلوق مسؤول. والنقطة المضادة لهذه الفكرة هي حالة الشعور بعدم المسؤولية، أو عدم الشعور بالمسؤولية، فيقول المرء لنفسه: دعك من هذا، واذهب وتمتع بحياتك، وعليك بنفسك فقط. الأساس الفكري للتعبئة هو هذه المسؤولية الإلهية التي سوف أذكر أن لها ركائز دينية قوية. إنها ليست مجرد المسؤولية أمام الذات وأمام العائلة وأمام الأصدقاء والأقارب - وهذه مسؤولية قائمة في محلها طبعاً - إنما هي المسؤولية حيال أحداث الحياة ومصير العالم ومصير البلاد ومصير المجتمع، سواء المجتمعات المسلمة أو المجتمعات غير المسلمة. إنها ليست مسؤولية تقتصر فقط على الأفراد الذين يشاركوننا معتقداتنا وديننا وإيماننا، أي إنها ليست مسؤولية حيال المسلمين فقط، بل هو شعور بالمسؤولية حتى إزاء غير المسلمين وغير المؤمنين. إنه الفكر الذي يقف على الضدّ من ذلك الفكر الانتهازي الأناني الذي يقول لصاحبه دع كل شيء واركن إلى الكسل والتهرب من المسؤولية وما شابه. الركيزة الأساسية للتعبئة هي الشعور بالمسؤولية. فكرة مسؤولية الإنسان من بينات الإسلام. بمعنى أنه ليس بوسع أحد الشك في أن الإسلام يريد للإنسان أن يكون مخلوقاً من هذا الطراز: مخلوقاً مسؤولاً، وقد طلبت منه أعمال وواجبات.

لاحظوا الأحكام المختلفة: مثلاً حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الأمر بالمعروف معناه أنكم جميعاً مسؤولون عن نشر المعروف والإحسان والأمر الإيجابية الحسنة الصالحة. أمروا بهذه الأشياء. والنهي عن المنكر معناه نهى الآخرين عن القبائح والسيئات والسلبيات. حولوا دون هذه الأشياء بمختلف الأساليب. فما معنى هذا؟ معناه المسؤولية حيال سلامة المجتمع العامة. الكل مسؤولون: أنا مسؤول وأنتم مسؤولون، وذاك الإنسان مسؤول. أو لناخذ مثلاً قضية الجهاد. الجهاد في الإسلام هو في الواقع مساعدة الشعوب الواقعة خلف أستار السياسات الاستعمارية والاستكبارية والاستبدادية، والتي لا تصلها

أنوار الإسلام والهداية والرشاد. الجهاد هو من أجل خرق هذه الأستار والحجب. هذا هو الجهاد الإسلامي. والنقاش حول هل الجهاد عمل دفاعي أو ابتدائي أو ما شاكل نقاش فرعي، والقضية الرئيسية هي: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ﴾ (٣). لماذا لا تجاهدون؛ لماذا لا تقاتلون؛ لماذا لا تكافحون في سبيل الله. ثم يقول مباشرة: وفي سبيل المستضعفين، أي لإنقاذ المستضعفين. هذا هو الشعور بالمسؤولية. أي اذهب وخاطر بنفسك وضع روحك على كفك في ساحات الخطر من أجل إنقاذ المستضعفين. وهذا يعني الشعور بالمسؤولية. أو خذوا مثلاً الحديث المعروف: «مَنْ أَصْبَحَ وَلَمْ يَهْتَمَّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ» (٤)، وغيره الكثير من الآيات والروايات في النصوص الدينية التي تعبر عن واحدة من بينات الإسلام. مما يعني أن الإسلام أراد الإنسان بحيث يكون مسؤولاً؛ المسؤولية تجاه نفسه وتجاه القريبين إليه وتجاه مجتمعه وتجاه البشرية كلها. إذا تابعت هذه الفكرة في النصوص الإسلامية لوجدتم العجائب والغرائب حول هذا الاهتمام والشعور بالمسؤولية.

يتضرع الرسول الأكرم (ص) ويتوسل أمام الله تعالى فيقول: «اللَّهُمَّ اهدِ قومي» (٥). كان قومه أولئك الذين يضربونه ويطردونه ويهددونه بالقتل ويحملونه كل تلك الصعاب والمشاق، وهو يتوسل لله تعالى أن ينقذ قومه ويهديهم ويشافهم! هذا عن الرسول الأكرم (ص)، والإمام علي بن أبي طالب (ع) عندما سمع أن جنود معاوية أغاروا على مدينة ونهبوها قال بألم ومرارة: «بَلَّغْنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأَخْرَى الْمُعَاهِدَةَ» (٦). كان الرجال المغيرون في هذه القوة العسكرية يدخلون بيوت المسلمين والمعاهدين (و المعاهدون بمعنى غير المسلمين الذين يعيشون في ظل الإسلام؛ من مسيحيين ويهود) ويتناولون على النساء ويسرقون أساورهن وحليهن. ثم يقول (عليه السلام) إنه لو مات المسلم حزناً وألماً على ذلك لما كان ملوماً، بل لم يكن ذلك كثيراً. لاحظوا، إلى هذه الدرجة يصل الشعور بالمسؤولية. لا يقول من المناسب أن يموت أمير المسلمين لهذا الحدث، بل يقول لو مات الإنسان والمسلم ألماً وغصة على ذلك لكان ذلك مناسباً وفي محله ولم يكن بكثير. هذا هو الشعور بالمسؤولية. الركيزة الأصلية للتحرك التعبوي هو الشعور بالمسؤولية الإلهية.

الركيزة الثانية المهمة هنا والتي تعتبر مكملية للركيزة الأولى هي البصيرة. بأي معنى؟ بمعنى معرفة الزمان والحاجة والأولويات ومعرفة العدو ومعرفة الصديق ومعرفة الوسيلة التي ينبغي استخدامها مقابل العدو. هذه المعارف هي التي تشكل البصيرة. لا يمكن الكفاح دوماً بسلاح واحد. لا يمكن استخدام سلاح واحد في كل الساحات. أي سلاح يجب أن نستخدمه؟ وأين هو العدو؟ لقد قلتُ مراراً إن الذين لا بصيرة لهم - مثل هؤلاء التعساء الذين وقعوا في الفتنة - أشبه بأناس يريدون توجيه الضربات للعدو في ظلام الليل وفي الضباب الشديد وفي الأجواء المغبرة؛ إنهم لا يعلمون أين هو العدو؛ فالمعلومات من أول

شروط الحروب العسكرية؛ يجب أن تكتسبوا المعلومات وتعرفوا أين يتموضع العدو. إذا تحركتم من دون معلومات قد تضربون المكان الذي يتموضع فيه أصدقاؤكم، وقد تضربون من هو ليس بعدوكم وتساعدون بذلك عدوكم. أحياناً قد يحصل مثل هذا. إذا لم تكن ثمة بصيرة ستكون هذه هي النتيجة. وقد قيل: «العالمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ» (٧). الشبهات والجهالات وعدم الفهم أحوال لا تهجم على العالم بزمانه، فهو يفهم ما الذي يجب أن يفعله. إذا لم يتوفر هذا فستكون هناك مشاكل، حتى لو كان هناك شعور بالمسؤولية.

البعض شعروا بالمسؤولية خلال فترة الكفاح والنضال لكنهم لم يفهموا أين يستخدمون هذا الشعور بالمسؤولية، فكانوا يستخدموه في مواطن تضرّ بالحركة الكفاحية العظيمة للإمام الخميني الجليل. وكذا الحال بعد الثورة أيضاً. وكذا الحال إلى يومنا هذا. البعض لديهم شعور بالمسؤولية ولديهم محفزات ودوافع لكنهم يوظفون هذه المحفزات في المكان الخطأ والسيئ. لا يشهرون السلاح على المكان الذي يجب أن يشهروا عليه سلاحهم؛ هذا ناجم عن عدم بصيرة. وقد تحدثنا عن البصيرة قبل سنوات في قضية الفتنة، واستهزأ البعض بالبصيرة! نعم، لا بدّ من البصيرة، فإذا لم تكن البصيرة، كلما ازدادت المسؤولية والدوافع والشعور بالمسؤولية كلما ازدادت الأخطار، ولن تكون هناك ثقة بهذا الإنسان عديم البصيرة وعديم الرؤية الصحيحة الذي لا يعرف الصديق ولا يعرف العدو ولا يفهم أين يجب أن يوظف هذا الشعور والطاقة والدوافع. إذن، هذا هو الركن الثاني الذي يعتبر ضرورياً ولازماً جداً. إذا لم يتوفر هذا الركن الثاني سوف تكون نتائج الأمر بالمعروف خاطئة، وسيكون الجهاد خاطئاً، وستكون الأمور التي يهتم بها الإنسان خاطئة، وسيسير في الطريق الخطأ.

رحمة الله تعالى ورضوانه على الإمام الخميني الجليل الذي فكّر في كل هذه الأمور. لقد شاهدت تلك العين الثاقبة والبصيرة الإلهية كل تلك الأشياء الضرورية لهذا المجال واستلهمتها من الله تعالى من دون أن يكون قد درس علم السياسة في مكان ما أو تعلمه من أحد؛ إنما ألهمت هذه الأشياء لذلك القلب الطاهر. وقد كان الإمام الخميني هو الذي كوّن النعبنة ووجهها وأشار لها على الاتجاه الصحيح. لم يكتف الإمام الخميني بالقول: تحركوا وسيروا وليكن لديكم شعور بالمسؤولية، وكونوا تعبويين؛ لا، بل قال ما الذي ينبغي عليكم أن تفعلوه. قال لنا صوّا كل هتافاتكم ضد أمريكا. هذا معناه رسم الاتجاه والدرب، ومعناه تعليم ما الذي ينبغي أن تفعلوه وفي أي اتجاه تسيرون وما هي أهدافكم. لقد علمنا هذا أيضاً.

خلال فترة الحرب وعلى مدى ثمانية أعوام من الدفاع المقدس، كان يقول دوماً إن الحرب على رأس الأمور والأولويات. وقد كنا مسؤولين في البلاد - كنتُ رئيساً للجمهورية، وآخرون كانوا مسؤولين في مواقع أخرى - وكانت أماننا آلاف الأعمال والمهمات بأنواعها. حينما تقع على عاتق المأمور والمسؤول كل هذه الأعمال التنفيذية سوف يقع في الغفلة أحياناً، لكن الإمام الخميني أشار للجميع إلى الطريق -

أشار للمسؤولين والشعب والشباب - وقال إن الحرب على رأس كل الأمور. وقد كان هذا. وجّه الجميع بأن يهتموا بهذا الأمر أو ذاك؛ هذه حالة مهمة.

في قضية التوجّه إلى سورية لمقاتلة الكيان المحتل للقدس كان شبابنا فرحين مسرورين - وقد جاء منهم شخصان عندي وكلاهما الآن من الشهداء الأجلاء - وقالوا نريد التوجّه للحرب. ولم يكن الإمام الخميني على علم بالموضوع، وعلم بذلك لاحقاً، فقال إن طريق الكفاح ضد إسرائيل يمرّ عبر العراق، فحال دون ذلك. وعاد الذين ذهبوا. لاحظوا، هذا هو فهم الأولويات ومعرفتها. لقد أشار الإمام الخميني إلى الطريق والاتجاه.

قال رحمه الله إن الحفاظ على النظام الإسلامي وصيانته من أوجب الواجبات، أو هو أوجب الواجبات. أي إن كل القضايا الأخرى هي فروع هذه القضية الرئيسة. هذا شيء يدلنا على الاتجاه. قد تكون أنت مختلفاً في وجهات نظرك مع صديقك حول قضية صغيرة أو كبيرة، ولكن في خصوص الحفاظ على النظام الإسلامي كلاكما مسؤول بنفس الدرجة.

الذين لم يفهموا كلام الإمام الخميني هذا ارتكبوا في بعض المواطن أخطاء فاحشة. لقد أشار الإمام الخميني إلى الاتجاه. هكذا كان هذا الرجل الكبير يتحرك ويعمل.

طيب، إذن الركيزة الفكرية هي بالدرجة الأولى الشعور بالمسؤولية والذي يمثل الرصيد الفكري القوي جداً لكم أنتم الذين تريدون العمل والنشاط في إطار التعبئة. والشرط اللازم الذي يمثل الركن الثاني هو البصيرة. ينبغي عدم الغفلة عن هذين الشئيين حتى للحظة واحدة. أولاً الشعور بالمسؤولية - بمعنى أنني أقوم بهذا الاكتشاف العلمي لله صبراً واحتساباً (٨)، وأقوم بهذه الدراسة والبحث العلمي لله، وأنجز هذا العمل الفني لله، وأخوض في هذا الكفاح لله، وأقوم بهذا العمل الاقتصادي لله، وأساعد زبداً وأكافح ضد عمرو لك يا الله لأنك طلبت مني ذلك وألقيت هذه المسؤولية على عاتقي - وهذا الإحساس بالالتزام مقابل الله. وثانياً الوعي، أي أن نعلم أين نحن وأين هي مواقعنا وأين هي مواقع العدو ومن هو العدو وبأيّ سلاح يجب أن نناضل ضده. هذا هو الركن أو الركيزة الثانية. بهذه النظرة سوف تتسع دائرة التعبئة وتتضح كذلك مجالات نشاط التعبئة.

أما عن دائرة استيعاب التعبئة: من هو التعبوي؟ كل من يعمل وينشط في هذه الأرضية العقيدية والإنسانية التي تحدثنا عنها فهو تعبوي. طبعاً قوات مقاومة التعبئة هي رمز هذه النهضة العامة الهائلة الوطنية الشاملة؛ إنها رمز النظام والانضباط والتوجهات الصحيحة والتعليم والتربية. التعبوي واسم التعبوي وعنوان التعبوي عنوان شامل؛ وقوات مقاومة التعبئة هي تلك القلعة الأصلية والمقر والمركز الرئيسي لهذه المظلة الهائلة التي تستوعب في ظلالها الشعب كله. إنها ملهمة النظام وملهمة التواجد والمشاركة والتحرك، سواء في المجتمع أو بين الشرائح المختلفة، أو في الجامعة، أو في المدرسة، أو في الحوزة العلمية، أو

في أي موطن آخر. هذا هو معنى تواجد قوات مقاومة التعبئة ومساهمتها. رسم الخطوط والاتجاهات والتوجيه والانضباط وتعيين الواجبات لهذه المجموعة ضمن حدود الإمكان والقدرات - كما شرح ذلك الآن هؤلاء الإخوة - والإمكانات طبعاً محدودة، وقد انتهى الأمر لحد الآن إلى انخراط عشرات الملايين والحمد لله. هذه هي دائرة ومديات المشاركة البشرية للتعويين.

أما عن مجالات نشاط التعبئة فالمجالات لامتناهية. لا توجد أية قيود ومديات للنشاط التعبوي. هناك ميدان الدفاع وهناك المجال السياسي وهناك مضمار البناء ويوجد أيضاً الميدان الاقتصادي ونذكر أيضاً الساحة الفنية وهناك مجال العلم والتقنية والتنظيمات الدينية وهيئات العزاء الحسيني، وكل أشكال النشاط والعمل. هذه هي مجالات مشاركة التعبئة المنتشرة في كل مكان. ولدينا في كل هذه المجالات نماذج صالحة وقدوات حسنة أثبتوا أنهم متميزون وعظماء. كان لدينا في الحرب قادة كبار وشخصيات مميزة، وقد كان البعض نخبة علميين وانخرطوا في صفوف المقاتلين فصاروا جنوداً ناشطين يحملون السلاح كالمرحوم الشهيد جمران. كان جمران نخبة علمياً وكان أيضاً نخبة فنياً. هو نفسه كان يقول لي: إنني فنان في مجال التصوير. جاء إلى الحرب وارتدى الزي العسكري وصار عسكرياً، لكنه كان نخبة قبل أن يخوض غمار الساحة القتالية. والبعض لم يكونوا من النخبة قبل أن يخوضوا في هذه الساحة، إنما هذه الساحة هي التي رفعتهم إلى الذرى، ومثال ذلك الأستاذ عبد الحسين بنا (٩) الذي كان عامل بناء صغير، ثم خاض غمار الحرب ووصل إلى القمة وارتقى إلى أن صار من النخبة، وأيّ نخبة! هؤلاء متميزون.

لدينا في مجال العلم والبحث العلمي أيضاً نخب مثل المرحوم كاظمي آشتياني الذي أطلق نشاطات الخلايا الجذعية وهذه المشاريع الهائلة وخرّج الكثير من العلماء - وكذا الحال بالنسبة لزملائه، وهذه المسيرة مستمرة لحد الآن والحمد لله - أو أمثال الشهيد شهرياري، ونحن نذكر هذه الأيام اسم الشهيد شهرياري لأننا قريبون من ذكرى استشهاده (١٠). وكذا الحال بالنسبة للباقيين: رضائي نجاد، وعلي محمدي، وأحمدي روشن؛ لقد كان هؤلاء نخبة في ميدان العلم والبحث العلمي عملوا بطريقة تعبوية. لقد عمل الشهيد شهرياري بطريقة تعبوية. يوم أرادوا إغلاق الأبواب بوجه الشعب الإيراني - بهذه الأساليب التي سمع كثير من الناس عنها في التلفاز والأخبار، والكثير منها لا يزال خلف الستار وسوف تنكشف في المستقبل ويتبين كم مارس الأعداء من الخبث والدناءة - لكي لا يحصل الناس على الأدوية الإشعاعية وتواجه الجمهورية الإسلامية مشكلة، وقالوا: «لن نبيع»، حتى يتعطل مركز طهران، إذا بهؤلاء - المرحوم الشهيد شهرياري - ينبرون للعمل والجدّ والسعي إلى أن جاءوا وقالوا لنا لقد استطعنا إنتاج العشرين بالمائة، ثم جاءوا وأبلغونا بأننا استطعنا إنتاج أنابيب الوقود وصفحات الوقود، فبقي الأعداء في حيرة وذ هول. لقد كان هذا العمل عملاً تعبويّاً، ولم يكن عملاً اعتيادياً. لقد كان ولا يزال هناك الآلاف من



الأشخاص العظماء في كل هذه الساحات التي تحدثنا عنها، وقد بذلوا المساعي والجهود، وذكرنا أسماء بعضهم هنا.

هذا التفكير التعبوي الذي أوجده الإمام الخميني الجليل في إيران الإسلامية قد جرى تصديره للخارج. لقد قلنا مراراً إن مفاهيم الثورة ومفاهيم الإسلام كأريج الورد الربيعية ليس بوسع أحد الحيلولة دون انتشاره، فهو ينتشر ويسيح في كل مكان. إنها نسائم باعثة على الحياة والسعادة تنتشر تلقائياً في كل مكان. وقد يثرون الضجيج والعيول والصخب، لكنه أريج قد ساح وانتشر، وأنتم الآن تلاحظونه في بلدان شتى، فهو تفكير فاعل في لبنان، وفي العراق، حيث تحرك الشباب العراقي إلى جانب جيشهم واستطاعوا تحقيق هذه الانتصارات. وكذا الحال في سورية وفي غزة وفي فلسطين وفي اليمن، وهكذا سيكون الحال أيضاً في القدس الشريف ولإنقاذ المسجد الأقصى إن شاء الله.

وأقول إنه لهذا السبب تحديداً فإن إيران الإسلامية لا تقبل الهزيمة. ليعلم الذين يهددون النظام الإسلامي والجمهورية الإسلامية بأننا سنفعل كذا وكذا، أن الجمهورية الإسلامية بفضل التفكير التعبوي والأداء والحراك التعبويين، لا تقبل الهزيمة. كل فرد إيراني هو تعبوي في حقيقته، باستثناء عدد قليل مصابون إما بعبادة الذات أو بعبادة الشهوات أو بعبادة المال، أو إنهم مرتبطون بالعدو؛ هؤلاء ندعهم جانباً فهم قلة وليسوا بكثير. الأكثرية الساحقة من شعب إيران هم تعبويون في حقيقتهم، وهذا هو سبب استعصاء نظام الجمهورية الإسلامية على الهزيمة. ولكن ينبغي على الجميع أن يكونوا واعين يقظين مفتحي العيون، فالامتحانات موجودة دائماً ويمرّ بها الجميع، ويتعين على المسيرة أن لا تصاب بالفتور، كما يتوجب أن لا يكون الاتجاه خاطئاً. يجب أن يكون الاتجاه صوب مقارعة الاستكبار ومجاوبته.

نحن وشعبنا عندما نذكر اسم أمريكا فلأن قضية أمريكا هي قضية الاستكبار، فأمریکا حكومة مستكبرة، وأسلوب أمريكا أسلوب استكباري. ليست لدينا أية مشكلة مع أمريكا كمنطقة جغرافية أو كشعب أو كجماعة إنسانية، فهي كسائر البلدان، لكن مشكلتنا مع أمريكا هي مشكلة الاستكبار الأمريكي. إنهم مستكبرون ومتكبرون ويتحدثون بمنطق القوة وجشعون. لاحظوا هذه الكلمات التي قالوها طوال الأيام القليلة الماضية بخصوص المفاوضات النووية؛ ففاوضوا لعدة أشهر وقد مدّوا المفاوضات الآن، ثم راحوا يتحدثون كما كانوا دوماً.

طيّب، لأذكر الآن نقطتين أو ثلاث نقاط بهذا الخصوص: أولاً إنني لا أعارض تمديد المفاوضات ولنفس السبب الذي لم أعارض بموجبه أصل المفاوضات؛ إننا لم نعارض أصل المفاوضات، وقد ذكرنا السبب للشعب. لقد ذكرت الأسباب في إحدى الكلمات، والآن أيضاً لا نعارض تمديد المفاوضات. ونقول إلى جانب ذلك إن الوفد الإيراني المفاوض هو - والحق يقال - عظيم المساعي والجدّ والجهد، ويصمد ويتحدث بمنطق، ولا يخضع لمنطق القوة، وهو يعمل؛ هذا أيضاً شيء ينبغي على الجميع التنبيه له. أما

التفاصيل وما يجري في المفاوضات فغالباً ما لا يكون الناس مطلعين عليه. أعضاء الوفد الإيراني يعملون بجدّ ومنطق وإخلاص، بخلاف الطرف المقابل، وأمريكا خصوصاً، الذي يطلق كل يوم كلاماً - يتحدثون في المجالس الخاصة وفي رسائلهم بشكل، ويتحدثون لعموم الناس وفي تصريحاتهم العلنية بشكل آخر، ويقولون اليوم شيئاً ويسحبون هذا الشيء غداً؛ هذا هو الحال حينما لا يكون هناك خط وصرط مستقيم، ويريدون الاستفادة من هذه المفاوضات لمشكلاتهم الداخلية، لذلك فهم مضطرون للتحدث بشكل والتحدث هناك بشكل آخر - لكن وفدنا يقف أمامهم بقوة ومنطق. طبعاً من بين أولئك المفاوضين الذين يقفون مقابل إيران - إيران تقف لوحدها وهم جيش وعدة بلدان يقف وراء كل واحد منهم جيش من الدبلوماسيين والعلاقات العامة والمصورين والمحليلين وما إلى ذلك - الأسوأ أخلاقاً هم الأمريكان، والأكثر خبثاً هم البريطانيون.

طيب، الآن مددوا المفاوضات، وليعلم الجميع - سواء الذين هم الطرف الآخر في المفاوضات، أو القلقون على هذه القضية في داخل إيران ويراقبون المفاوضات دوماً - أنه إذا لم تصل هذه المفاوضات إلى نتيجة فإن الذي سيتضرر أكثر من الجميع هم الأمريكان وليس نحن. إننا صادقون وصریحون مع شعبنا. نصارح الشعب بحقيقة الأمر ونقولها له، وقد أدركوا لحد الآن، ويمكن إثبات ذلك بأدلة متعددة قطعية أن القصد الحقيقي للاستكبار والغرب مقابل إيران هو الحيلولة دون نمو الشعب الإيراني واقتداره. القصد والهدف الحقيقي هو الحؤول دون عزة الشعب الإيراني المتزايدة، والقضية النووية مجرد ذريعة وتوجد ذرائع أخرى إلى جانب هذه الذريعة. القضية الأصلية هي أن مواهب الشعب الإيراني راحت تبرز وتظهر تدريجياً وأخذ الشعب الإيراني يتقدم على كل المستويات؛ على المستوى السياسي، وعلى المستوى العلمي، وعلى المستويات الاجتماعية المختلفة، وازداد اقتداراً، وهم غير راضين عن هذا ومنزعجون له ويريدون منعه وصدّه. لقد وضعوا الحظر والضغوط بهذه النية. الحظر والضغوط الاقتصادي من أجل أن يتمكنوا ربما من الحيلولة دون المساعي المتصاعدة للشعب الإيراني، لذلك يفرضون الحظر والضغوط الاقتصادية. والضغوط الاقتصادية هي على كل حال عامل مهم. إننا نتحدث مع شعبنا ببس وصراحة، وهم ليسوا كذلك وشعبهم لا يؤمن بهم. شعبية رئيس جمهوريتهم تنخفض يوماً بعد يوم، وهذه إحصائياتهم هم أنفسهم. يوم انتخب رئيس الجمهورية هذا كانت شعبيته عالية، وراحت تنخفض يوماً بعد يوم إلى يومنا هذا، لأن الشعب هناك غير مؤمن بنظامه السياسي.

في هذه الانتخابات الأمريكية الأخيرة كانت نسبة المشاركين متدنية جداً، وهذا ما اعترفوا به هم أنفسهم وقالوه، بمعنى أن شعبهم نفسه لا يؤمن بهذه التراكيبات والنظام، ولا أمل له فيها. ولكم أن تقارنوا هذا بمشاركة شعبنا عند صناديق الاقتراع التي ترقى إلى ٦٥ بالمائة و ٧٠ بالمائة. لديهم الآن مشكلة مع أبناء شعبهم. أخبار فرغوسن وولاية ميسوري التي سمعتم بها تدل على أنهم يحاربون شعبهم! تقاريرهم تقول إن



الشرطة الأمريكية قتلت خلال سنة واحدة أكثر من أربعمائة شخص من المواطنين الأمريكيين بذرائع مختلفة؛ الشرطة وليس الجهاز القضائي! ليس لديهم علاقات جيدة حتى مع شعبهم، وشعبهم لا يؤمن بهم ولا يوافقهم، ولديهم مشاكل ويحتاجون إلى نجاح وانتصار كبير، أما نحن فلا نحتاج لمثل هذا. قبل فترة قال أحد أعضاء الوفد المفاوض شيئاً جيداً حيث أعرب إنه حتى لو لم نصل إلى اتفاق فلن تنطبق السماء على الأرض، ولن تصل الدنيا إلى نهايتها، فليكن أننا لا نصل لاتفاق. هذا كلام صائب. إننا لن ننزجر بشكل كبير كما قد يتصورون. يتصورون أنه إذا حصل كذا فسيكون كذا، لا، هناك حلول، والحل هو هذا الاقتصاد المقاوم الذي يقلل أولاً من آثار ضربات العدو، وهذه حالة تتعلق بالأمد القصير، وعلى المدى المتوسط والطويل سيبلغ بمسيرة الشعب العظيمة ذروة العلاء. هكذا هو الاقتصاد المقاوم. كان هذا هو تقييم أصحاب الخبرة في الشؤون الاقتصادية بعد أن أعلننا عن الاقتصاد المقاوم. لدينا حلول وليس لديهم حلول.

و مع كل هذا فهم يتصرفون على كل حال بطريقة استكبارية. لاحظوا تصريحاتهم خلال الأيام القليلة الماضية؛ يقفون ويقولون إن على إيران كسب ثقة المجتمع العالمي. يسمّون أنفسهم المجتمع العالمي! أمريكا وبريطانيا وفرنسا وعدة بلدان مستكبرة صاروا المجتمع العالمي! هل هذا هو المجتمع العالمي؟ ليس نحو ١٥٠ بلداً عضواً في حركة عدم الانحياز اجتمعوا قبل سنتين في طهران بمجتمع عالمي؟ قرابة خمسين رئيس جمهورية ورئيس بلد ورئيس حكومة حضروا ذلك المؤتمر وشاركوا فيه مشاركة فاعلة، أليس هؤلاء بمجتمع عالمي؟ مليارات البشر الذين يعيشون في هذه البلدان، أليسوا مجتمعاً عالمياً؟ هذه الحفنة من البلدان - وهي في الغالب بلدان لا صلة بين رؤسائها وشعوبها - هي المجتمع العالمي؟ «اكسبوا ثقة المجتمع العالمي»، أي اكسبوا ثقتنا، أي ثقة الأمريكيين! إننا لا نريد كسب ثقة الأمريكيين. إننا في الأساس لا نحتاج أبداً لثقة الأمريكان. لا نحتاج لأن تثقوا بنا. تثقتم بنا ليست مهمة بالنسبة لنا بتاتاً. نحن أيضاً لا نثق بكم وشعوبكم أيضاً لا تثق بكم.

ثم يقول إنه يجب صيانة أمن إسرائيل. أولاً سوف يزداد انعدام الأمن في إسرائيل يوماً بعد يوم، سواء حصل اتفاق نووي أو لم يحصل؛ اعلموا ذلك؛ أمن إسرائيل سوف لن يتأمن سواء حصل اتفاق نووي أم لم يحصل. أما إنكم تقولون الآن إن أمن إسرائيل يجب أن يحفظ فأنا أقول إن هذا الكلام بدوره ليس كلاماً صادقاً. أمن إسرائيل ليس القضية الأصلية بالنسبة للساسمة الأمريكان، إنما القضية الأصلية شيء آخر. القضية الأصلية بالنسبة لهؤلاء هو إرضاء شبكة الرأسماليين الصهيينة الذين يمسكون بأيديهم شرايين حياتهم. هذه هي قضيتهم، وإلا أية أهمية بالنسبة لهم أن تكون إسرائيل أو لا تكون؟ الشيء المهم بالنسبة لهم هو أنهم منحوا شرايينهم الحيوية بيد شبكة الرأسماليين الصهيينة، فالرأسماليون الصهيينة هم الذين يمنحونهم الرشاوي وهم الذين يهددونهم. أولئك يمنحون الرشاوي - رشاوي مالية

حيث يمنحونهم الأموال - وهؤلاء يقبضون الأموال؛ يعطون رشاوي في المناصب ووعود مناصب، وإذا لم يتكيفون مع هؤلاء الذين يمسكون بأيديهم نبض الاقتصاد الأمريكي فلن يشموا رائحة الوصول للمناصب العليا - مثل رئاسة الجمهورية والوزارات وما إلى ذلك - هذه هي القضية بالنسبة لهم. وهم يهددون أيضاً. إذا عمل السياسة بخلاف رغبات تلك الشبكة الخطيرة فسوف يهددونهم. يهددونهم بأننا سنفرض عليكم الاستقالة أو نخلق لكم فضائح! وقد شاهدتم ذلك في الحياة الأمريكية خلال الأعوام الماضية، يتهمون شخصاً ويشوهون سمعة آخر، ويخلقون لآخر قصة فساد جنسي، ويفرضون الاستقالة على شخص، ويغتالون شخصاً، وقد اغتالوا بعض هؤلاء الرؤساء والسياسة الكبار، فأيديهم مبسوطة في ذلك! إنكم تخافون من هذه الأمور وتأخذونها بعين الاعتبار والملاحظة، وليست القضية قضية أمن إسرائيل بل قضية أمنكم أنتم. إنهم مستكبرون ويتحدثون بهذه الطريقة، ونحن لا ننسجم مع المستكبرين. طيب، إذا طرح كلام منطقي فلن نعارضه، فنحن نوافق الآراء والطروحات المنطقية، ونقبل المعاهدات والاتفاقيات العادلة العقلانية، ولكن حينما يكون الأمر من باب منطق القوة والجشع فلا، الجمهورية الإسلامية من أولها إلى آخرها وبشعبها ومسؤوليها سوف لن توافق؛ ليعلموا هذا.

و أذكر نقطتين أو ثلاثاً لكم أيها التبعيون الأعزاء ولكل التبعيين في أنحاء البلاد: إنني أدعو التبعيين الأعزاء للأخلاق. ما معنى الأخلاق؟ معناها الحلم والبصيرة والمقاومة والصدق والنقاء والشجاعة والتضحية والطهر والعفاف. التبعيون يحتاجون لهذا من أجل الإبقاء على أجزاء ومفاصل هذا الصرح الشامخ قوية متينة. إذا أردتم أن يبقى هذا الصرح الشامخ قوياً مثل الحصن المنيع الثابت مقابل الأعداء فيجب أن تراعوا هذه الأمور. كونوا صبورين خلوقين طاهرين، واستلهموا النماذج الكبرى من صدر الإسلام. يجب أن نبتعد عن التكبر والتفرعن. مالك الأشتر بذلك المقام والمرتبة والشجاعة وبمكانته عند الإمام علي بن أبي طالب (ع) إذا بطفل لم يعرفه فاستهزأ به وربما قذفه ببعض الحجارة الصغيرة؛ شاهد الطفل مثلاً أن رجلاً يسير في الطريق فأراد الاستهزاء به، ومرّ مالك الأشتر في طريقه على رسله، فقال الرجال الذين شاهدوا ذلك المنظر للطفل: هل فهمت ما الذي فعلته، وهل تعلم من هذا الذي استهزأت به؟! فقال الطفل الذي لم يكن يعرف مالكا الأشتر: لا؛ فقالوا له إنه مالك الأشتر، فاضطرب الطفل، وسارع هو، أو هو ووالده، أو ربما مع أصدقائه، إلى الاعتذار من مالك الأشتر بشكل من الأشكال، لكي لا يتطوروا في مشكلة، ساروا خلف مالك الأشتر فأروه قد دخل مسجداً وراح يصلي. تقدموا نحوه وأرادوا الاعتذار منه، فقال مالك الأشتر إنني جئت المسجد لأصلي وأدعو الله تعالى ليغفر خطايا هذا الشاب! لاحظوا، هذا هو الإخلاص وهذا هو الشعور بالمسؤولية وهذا هو الحلم والكرم. أنا وأنتم أيضاً يجب أن نتعلم هذه الأشياء.

كما أوصي توصية أكيدة بتقوية العقيدة والإيمان والعمل وعدم التهاون في هذه الأمور. كونوا حذرين مراقبين. إننا في مسيرة الحياة عندما نواجه الوسواس؛ وسواس المال والشهوات والمناصب والصدقات والعلاقات، نصاب بالتهرؤ والتآكل، فاحذروا من أن تصابوا بالتهرؤ العقيدي. أثروا أنتم في بيئكم ولا تدعوا البيئة إذا كانت سيئة تؤثر فيكم.

يجب الاهتمام بكل الشرائح في هذه التعبئة الوطنية الإلهية الشعبية العظيمة، وقد أوصيت ببعض الشرائح خصوصاً حينما بدا لي أنه لا يجري الاهتمام بها بالقدر اللازم - أوصيت الأمير نقدي خصوصاً - يجب أن لا ننسى شريحة أو جماعة معينة. حددوا نوع العلاقة بين هذه الشرائح وأوجدوا الصلات والعلاقات بينها. أحياناً قد يحدث أن تكون تعبئة الطلبة الجامعيين غير مطلعة على تعبئة الأطباء أو تعبئة المهندسين أو تعبئة الصناعيين، لا، ليكونوا مطلعين بعضهم على بعض، فقد يكونوا نافعين بعضهم لبعض. كل واحد من هذه القطاعات المختلفة لتعبئة الشرائح يمكنها أن تساعد قطاعاً آخر وتعمل على تطويره وتقدمه. ارسموا شكل هذه العلاقات.

اطلبوا الأعمال الكبرى من عناصر التعبئة، فالأعمال الكبرى ممكنة التنفيذ على يد الكثير من أبناء شعبنا الموهوبين. وعلى الحكومة أيضاً أن تمد يد العون طبعاً. على الأجهزة الحكومية في القطاعات المختلفة أن تساعد على تنمية التعبئة وتوسيع رقعتها. وليهتم المسؤولون الحكوميون بهذه القضايا الاقتصادية أيضاً - وكما سبق أن قلنا فإن ركن الاقتصاد المقاوم هو تقوية الإنتاج الداخلي وخفض الاستيراد غير الضروري أو الذي له نظائر داخلية - وليطلبوا فيها المساعدة من التعبئة. في هذه الحال لا شك عندي بأن المستقبل سيكون لشعب إيران إن شاء الله. نتمنى أن تكون الروح المباركة للإمام الخميني الجليل مسرورة، وكذلك الأرواح الطاهرة لشهدائنا الأبرار الأعزاء، وألحقنا الله تعالى بأولئك الشهداء (١١).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

- ١ - سورة المائدة، شطر من الآية: ٥٤ .
- ٢ - سورة الصف، الآية: ٤ .
- ٣ - سورة النساء، شطر من الآية: ٧٥ .
- ٤ - الكافي، ج ٢ ، ص ١٦٣ .
- ٥ - مناقب آل أبي طالب، ج ١ ، ص ١٩٢ .
- ٦ - نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٧ .
- ٧ - تحف العقول، ص ٣٥٦ .
- ٨ - من ذلك أدعية أيام شهر رمضان المبارك.

٩ - الشهيد عبد الحسين برونسي.

١٠ - الشهيد مجيد شهرياري الذي جرى اغتياله بتاريخ: ٢٩/١١/٢٠١٠ م .

١١ - تحدث في هذا اللقاء قبل كلمة الإمام الخامني اللواء محمد علي جعفري (القائد العام لحرس الثورة الإسلامية) واللواء محمد رضا نقدي (رئيس منظمة تعبئة المستضعفين) مقدمين تقارير حول التعبئة.

